*في حضرته
من العظماء من يَشعر المرء بحضرته أنه صغير، ولكن العظيم بحق، هو من يُشعر الجميع في حضرته، بأنهم عظماء.

الشافعي

وقفاً على من جاء لانتزاع قرارات تفتقد لأخلاقية الانتخابات، و دون احترام من قدّم رأيه ليكون فيما يظن أنه جزء من السلطة و السلطة هي لسان حال المجتمع بالمعنى الفلسفي التقليدي.

نتيجة لذلك فإن أمريكا تعاني من ركود هائل على كلّ الصُعد، إذ قال أحد الخبراء :أخشى ذات يوم من إعلان السلطة في أمريكا عن بيع جزء من بلادنا من أجل تغطية العجز في ميزانيتها (من أجل إرساء الحريات للشعوب المضطهدة) *دون أن يؤخذ الكلام هذا بالبعد التراجيدي و هو بعد (سريالي إلى حدّ ما) بين الجغرافيا الكثيرة و التاريخ القليل ..التاريخ في أمريكا جاء متأخراً، و إن كان البنتاغون يقول : إنه لم يبدأ بعد في أمريكا ما دامت هذه البلاد تخضع لسلطة الاستلاب و التدمير وقتل الشعوب، و هذا ما تأكد فعلا في فشل « فوكوياما « و نظريته (نهاية التاريخ) ... لأن لدى التاريخ الأمريكي قناعة (لا تعتريها) سوى بعض الاستثناءات النادرة و هي فكرة أن الولايات المتحدة الأمريكية بلد لا يشبه غيره، و يحمل رسالة ذات بعد عالمي كونيّ! و هذه الفكرة الاستثنائية الأمريكية قد تأخذ شكل نموذج وحيد ينبغي الحفاظ عليه، و هو نموذج الأرض الموعودة الحرة، أو شكل الحرب من أجل الحضارة و الديمقراطية التي ستكون « أمريكا « زعيمة له بعد أن احتلت موقعاً مركزيا على رأس العالم إلى نقل أساس استراتيجيتها القائمة على القوة و الثروة إلى أرضية أكثر صلابة، وهي فرض القوة، واستغلال أو استقطاب العقول .. وبالتالي يتأكد التحوُّل المستجدُّ في الحياة الحديثة ..و هذا أحد أهم الأسباب الرخوة في «معضلة القوة العظمى « .

إن الواقعية الأمريكية في صورتها المثالية .. تحاول إقصاء الاعتبارات المتعلقة بالسياسة الداخلية و خلق إمكانية نشوب حروب من خلال بنية أنظمة الدول * *.

و بحسب أحد الواقعيين فإن حالة الصراع مشتركة بين الدول، لأن النظام الدولي يخلق دوافع عدوانية قوية جداً، ولكن هذه القوة تعيد صياغة إدماجها ببعض سلطات الحكم الذاتية التي تريد مضافعة قوتها في خضمّ الفوضى التي تعيشها وهذا ما يُشعِر الدول الصغيرة بأنها مهدَّدة من قبل دول أخرى ... وعلينا نحن الذين نتبنّى الواقعية أن نحافظ على هيبة ما توصلنا إليه والشعور بالخيلاء والعظمة لبناء دولة مثل أمريكا ..و خير من مثّل هذه الواقعية الأمريكية « هنري كيسنجر « الذي كان يراعي السمة الداخلية للدول في تحليلاته و استنتاجاته، و هذا ما يتوافق مع ما طرحه « فوكوياما « و مشروعه الجيوسياسي وقناعه الفلسفي المستعار وهو تقسيم الإنسانية بحسب فرز الثقافات إلى ما يمتُّ رجعيا إلى التاريخ و إلى ما تقدم منه إلى ما بعد التاريخ، و هذا ما تبناه « بوش الابن « في إعلانه عن النظام العالمي الجديد و الوثيقة الفكرية التي خيّل أنها تؤسس شبكة التنظير القادم لعصر ما بعد نهاية التاريخ .. وكلنا عشنا هذه الحالة حين إعلانها وتسويقها من قبل وزيرة الخارجية الأمريكية «رايس « . (واشنطن و العالم) كتاب تدخّل في التفاصيل الأولية لماهية أمريكا و عرض التفاصيل العريضة لبنود النظرية التي يتبناها الحكام في أمريكا أي أن هذه النظرية أتت بمشروع أيديولوجي يستدعي التعويض عن فراغ كبير في المرحلة ما بعد « البوشية « التي قد تكون فيما بعد لكل ما سبق « فإذا أردت أن تعرف ماذا تكون الحرية في أمريكا ادخل مطعما جاهزاً لتعرف من أنت تكون . !

إن ما يحصل في أمريكا والعالم الذي تريده، لا يجري فيها تصفية الأجساد والذي يحصل هو تصفية الأرواح .

و منذ قيام الكيان الصهيوني و أمريكا « طالعة نازلة « في رثاء الروح اليهودية، اليهودية لم تعد تستعمل أكثر من وسادة أمريكية لإبادة ما تريده الواقعية الأمريكية.

فمن يغسل كل تلك الأيدي من الدم ؟ بل من يغسل كل تلك الأيدي من الكارثة ؟ فالفوضى العالمية الجديدة التي تحدَّث عنها – زبغنيو برجنسكي – فور أن ظهر(بوش الكبير) بمقولة النظام العالمي الجديد (بوش الإبن) تأخر كثيراً في بلورة هذا الشعار لأن الشرق الأوسط الكبير في فترة حكمه امتلأ بالجثث وأصبح أشدّ بؤساً من الشرق الأوسط الجديد الذي امتلأ بالجثث أيضاً , وهذه الفترة التي عشناها في معضلة أمريكا استغراب من نوع ما : كيف يوجد في هذه المنطقة من لا يزال يراهن على الحلم من خلال أمريكا...؟!

فالعالم سقط في دوامة الدم , وبكل بساطة.. الساعات الأمريكية المجنونة قاربت على الانتهاء وهذا ما رآه مَن حَكَمَ مع جورج بوش الصغير وغالبية الأمريكيين ,إن الأمر يتعلق بالنضال في أركان العالم الأربعة، ضدّ من يريدون تدمير هذا النموذج , ويشكلون تهديداً متعدد الأشكال ,ويمكن النظر إلى هذا الدور بأنه مرحلة النضال ضدّ الإرهاب باعتباره الرسالة المركزية للسياسة الخارجية الأمريكية .

عينان زرقاوان للكارثة ... قدمان هائلتان للغباء ... إنها معضلة القوة العظمى !

هامش :
واشنطن والعالم – معضلة القوة العظمى -
تأليف : بيبرها سنرو جوستان فايبس
ترجمة د. قاسم المقداد – وزارة الثقافة – الهيئة العامة السورية للكتاب – 2008
- يمكن الرجوع إلى كتاب – فرانسيس فوكو ياما – نهاية التاريخ – ترجمة: مطاع الصفدي - وخاصة تقديم المترجم.
وكتاب صدام الحضارات (صاموئيل هنتغتون)
فوكوياما .
* - قيل هذا الكلام من قبل أحد قادة أمريكا بتهكم وسخرية (بول ولفويتز) على الأرجح
**- العراق على سبيل المثال .

عولمة النظرية النقدية

أ.د. عبد النبي اصطيف

يتحدث الكثيرون هذه الأيام عن العولمة Globalization، ويسرفون أحياناً في الحديث عن محاسنها ومساوئها، عن فوائدها وعن أضرارها، ولكنهم ينسون أنها في المجال الحضاري والثقافي والفني جدّ قديمة، وأن المنجزات الحضارية الكبرى في التاريخ الإنساني، والروائع الإنسانية في الفن والأدب، إنما تعود إلى عولمة العصور القديمة والوسيطة والحديثة، ولاسيما تلك العولمة الحميدة التي لم تميز بين غني وفقير وشرقي وغربي وأبيض وملون وأسود ومواطن غربي يعيش في حواضر العالم و آخر غير_غربي يعيش في الضواحي بعيداً عن المركز، مهمشّاً، منضويا، قانعاً بمنزلة الحاشية التي تردف المتن وتعززه ليس إلا.

ودارسو النقد العربي الحديث والمعاصر يتحدثون اليوم عن اتجاهات رئيسية فيه ومنها البنيوية Structuralism وما بعد البنيوية Post-Structuralism وغيرها مما استمدّه هذا النقد من المركز الغربي وانطلق يجرّبه على نصوص الأدب العربي والقديم والحديث، يضعها على سرير بروكروست ويعمِل فيها مِبضعه، يقطّع في نسيجها، أو جسدها، إلى أن يطمئن إلى استقرارها على هذا السرير غير مبال بما تبقى فيها من حياة. ولكن ممارسي النقد النظري والتطبيقي في الثقافة العربية الحديثة يغفلون، إلا من رحم ربك، عن حقيقة أن هذه البنيوية، وما تلاها من اتجاهات ضمّوها تحت لافتة ما بعد البنيوية، إنما هي حصيلة عولمة النصف الأول من القرن العشرين، وأن مراكزها، شأنها في ذلك شأن أعلامها، قد انتقلت من أقصى الشرق في القارة الأوربية من موسكو وبطرسبورغ في روسيا والاتحاد السوفييتي لاحقاً، إلى براغ في تشيكوسلوفاكيا، لينتهي بها مطافها الأوربي في باريس في الستينات، وتحط رحالها على الشاطئ الشرقي الأمريكي بعد ذلك، متنشره في مختلف أنحاء العالم، ولاسيما الوطن العربي: مشرقه ومغربه، ملبيّة حاجات كل محطة تحلّ بها، متلوّنة بلون إسهامات المسافرين الذين ينزلون بها، ومتحوّلة في طبيعتها ووظيفتها تبعاً للسياقات الفكرية والثقافية والأدبية الموظفة فيها.

ومشكلة هؤلاء مشكلة معرفية، لأن النقد معرفة وخبرة عملية بعملية الإنتاج الأدبي، ولذلك فهم بحاجة إلى تقصّي، أو بالأحرى، تقفّي مسيرة الأفكار بين البلاد والعباد إذا ما أرادو فهمها الفهم العميق والدقيق، وعندها سيتيسر لهم أن يدركوا أن الأفكار عامة، والأفكار النقدية خاصة، تنتقل بين الأمم والشعوب مستجيبة في ذلك لحاجاتها، وأنها لذلك تتحول في سعيها لتلبية هذه الحاجات، ولا تبقى على حالها، وأن الأمم والشعوب عندما تتلقى هذه الأفكار توظّفها على النحو الذي يلبي حاجاتها، ويلائم تطلعاتها، وينسجم مع طموحاتها في الارتقاء بمختلف وجوه حياتها ولاسيما إنتاجها الأدبي والفني الذي يعبر من ناحية عن روحها، ويحفظ من ناحية أخرى هويتها، التي إن تبددت في ظل الانفتاح المطلق والمستسلم على أفكار الآخرين عصفت بوجود الأمة، وحوّلتها إلى ما يشبه كثيب الرمل الذي يمكن أن تذروه أية ريح قوية، وتفعل به ما تشاء. إنها لا تأخذ بها جملة وتفصيلاً، ولا تطبقها آلياً دون تفكير، ولا تتبناها بكاملها دون تفحص، إنها تستلهمها، تستمد منها الوحي في تدبّر أدبها، حتى يكون هذا التدبر منسجماً مع طبيعته، ولا يؤثر سلباً في وظيفته التي أسنده إليها مجتمعه، فهو ابن هذا المجتمع، والتزامه الأول والأخير به دون غيره.

العلاقة الجدلية بين المبدع والمتلقي

د. فادية المليح حلواني

الحديث عن اتساع الفجوة بين المبدع والقارئ أو المتلقي يتسع ويكبر عن تطور وسائل التكنولوجيا من جهة وتنوع الوسائل الإعلامية التي أصبحت كالحوت في حاجتها إلى ابتلاع الغث والسمين لإملاء برامجها من جهة أخرى، ومع تزايد مناحي الحياة ومشاكلها. واتساع الفجوة هذه أوصل إلى خلل فيزيائي في المجتمع العربي سياسي واجتماعي وثقافي، البعض يعيده إلى غياب الحركة النقدية الجادة وفق جمال الغيطاني صاحب الزيني بركات والذي يبين أن وجود سلطة الإعلام التي تسلط الضوء على كتابات أكثرها لا يستحق ذلك عبر برامج ثقافية ضعيفة وغير جادة بحيث تبرز كتاب أدب التسلية وتضع أعمالهم داخل دائرة الضوء لتزاحم الأعمال الأدبية المبدعة فتضيع القارئ الحقيقي، مما يعيدنا إلى غياب النقد الموضوعي وبالتالي غياب النقاد المتخصصين غير المنتفعين إذ إن النقد العلمي يمثل الجانب الأساسي في المصداقية والشفاهية ويتمكن من فرز الصالح من الطالح ويساهم في دفع آفاق الإبداع إلى مده المجدي والواسع.

نظريات العلاقة بين المبدع والمتلقي تحاول الاقتراب الحقيقي من أصل المشكلة وبالتالي تقارب بين من يتهم المبدع بتعاليه في برج عاجي على القراء والمتلقين وبين المتلقين الذين آثروا القطيعة لانشغالهم بهموم الحياة ومتاعبها مبتعدين عما أسموه ترف القراءة وتلقي الإبداع.

فالنظرية الرابطة بين المبدع والمتلقي تعدّ المتلقي مبدعاً ففي تلقيه بعلاقة جدلية مع الإبداع وبالتالي يكون الإبداع مشتركاً فلا إبداع بدون متلق حقيقي.

لكن هذا الأمر مرتبط بمنظومة الوضع السياسي والاجتماعي وبالتالي المعاشي لهذه العلاقة. الأمر الذي يتطلب إصلاح أوجه الخلل في المنظومة الأدبية كلها مؤكدين أن النقد الموضوعي هو جزء من العمل الإبداعي أيضاً وهو بعيد كل البعد عن المجاملة والإعلانية المدفوعة الثمن.